فَأَيْـنَ اللهُ يا هَـــذا؟!

الدكتور محمد عمر الحاجي

رسوم إياد عيساوي

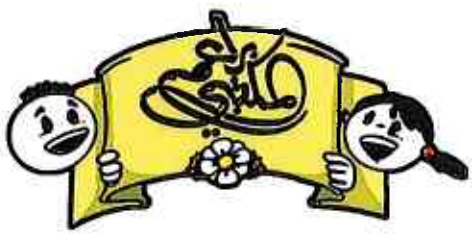

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الإلكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي.

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

دمشق - الشارقة - القاهرة
دمشق هاتف: 00963112248433 فاكس: 00963112248432 ص.ب: 31426
الشارقة هاتف: 0097165512262 فاكس: 0097165512264 ص.ب: 3309
Email:almaktabi@gmail.com
www.almaktabi.com

فَأَيْنَ اللهُ يا هَذَا؟!

وهَكَذَا حَرِصَ الأَطْفَالُ عَلَى تَعَلُّمِ الدّينِ ، وعَمَدُوا إِلَىٰ التَّمسُّكِ بِأَرْكَانِ الإِسْلاَمِ والإِيْمَانِ.

وَقَدْ سَطَّرُوا فِي ذَلِكَ القَصَصَ والحِكَايَاتِ ، التَّي فِيْها الدُّرُوسُ والعِبَرُ والعِظَاتُ ، مِنْ ذَلِكَ مَا أَخْرَجَهُ الإِمَامُ السُّيُوطِيُّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: عَنْ عَليِّ بنِ أَبي طَالِبٍ رَضَيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ:

بُعِثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمَ الإِثْنَينِ ، وأَسْلَمْتُ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ!! وكَانَ عُمُرهُ حِيْنَ أَسْلَمَ عَشْرَ سِنِيْنَ. وقِيْلَ: دُوْنَ ذَلِكَ.

قَالَ: ولَمْ يَعْبُدْ عَليٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الأَوْثانَ قَطُّ لِصِغرِهِ!!

ومِثْلُهَا: ما وَرَدَ فَي تَرْجَمَةِ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضيَ

اللهُ عَنْهُمَا ، وَخاصَّةً فِيْمَا يَدُورُ حَوْلَ قِيَامِهِ اللَّيْلَ وَكَانَ غُلاَماً بَعْدُ.

دَليلُ ذَلِكَ ما أَخْرَجَهُ الإِمَامُ البُخاريُّ رَحِمَه اللهُ تَعَالىٰ:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بتُّ عِنْدَ خالتي مَيْمونَةَ بَنْتِ الحَارِثِ - وهي وَاحِدَةٌ مِنْ أُمَّهاتِ المُؤمنينَ رَضَيَ اللهُ عَنْهنَّ أَجْمعينَ - لأُراقِبَ صَلاةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليه وسَلَّمَ.

فانتبَهَ رَسُولُ اللهِ - أَيْ: اسْتَيقَظَ مِنْ نَوْمِهِ - وقَالَ: «نَامتِ العُيونُ وَغَارتِ النُّجومُ ، وبَقِيَ الحيُّ القَيّومُ».

ثُمَّ قَرَأَ آخِرَ سُورَةِ آلِ عِمْرانَ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

ثُمَّ قَامَ إِلَىٰ شَنٍّ مُعَلَّقٍ - أَيْ: إِلى قِرْبَةٍ يُوْضَعُ فِيها

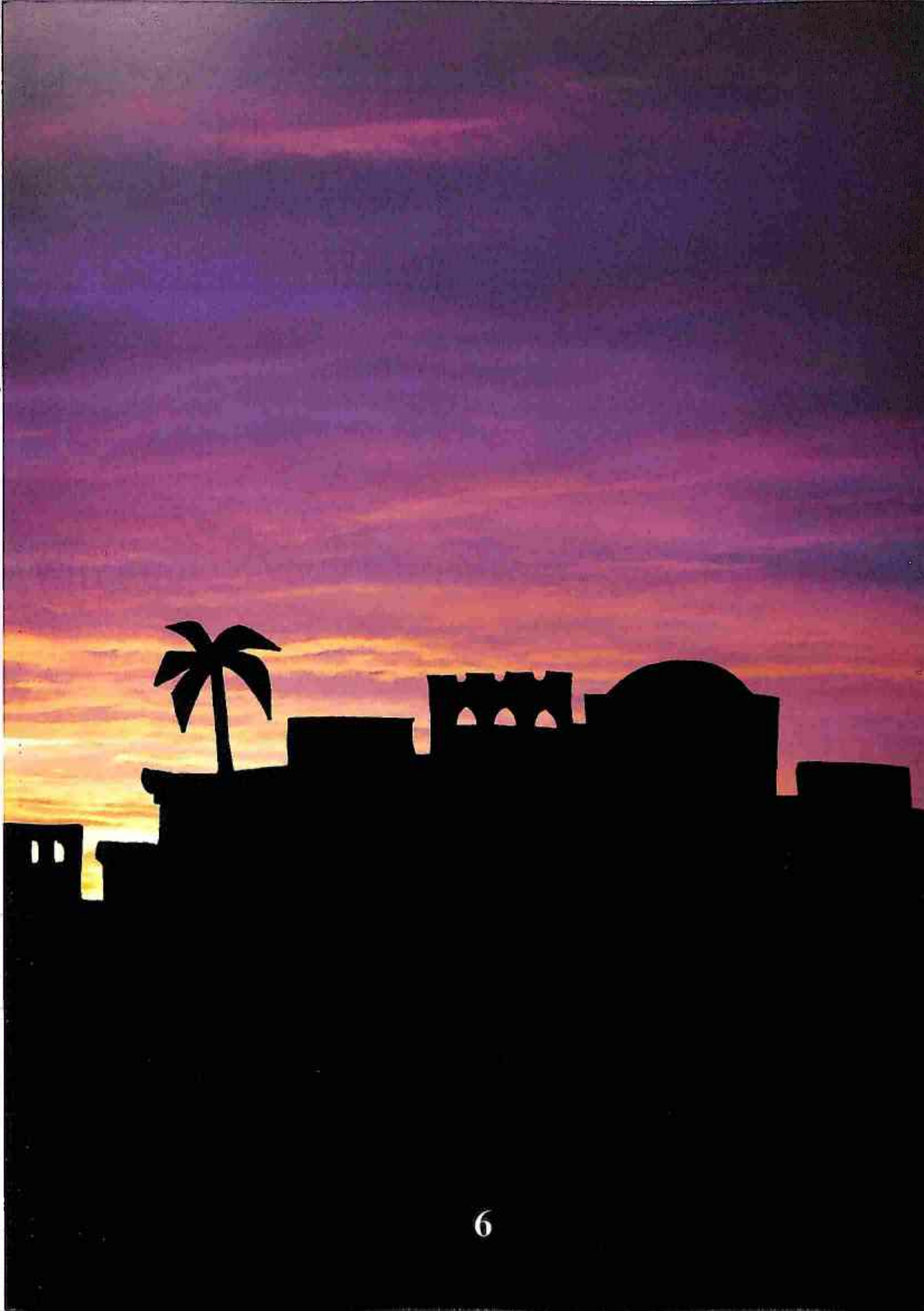

المَاءُ ـ في الهَواءِ ، فتوضَأَ. وافتتحَ الصَّلاةَ ـأَيْ: دَخَلَ فيها ورَاحَ يَقْرَأُ سُورَةَ الفاْتِحَةِ.

قَالَ ابنُ عَبَّاسٍ: فتوضأْتُ ووقَفْتُ عَلَىٰ يَسْارِهِ صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِ.

فأخَذَ بأُذني ، وَأَدارَني خَلْفَهُ حَتَّى أَقامني عَنْ يَمينِهِ.

فَعُدْتُ إِلىٰ مَكَاني ، فأَعادَني ثَانياً وثَالِثَاً!!

فَلَمّا فَرَغَ ـ أَيْ: انْتَهىٰ من صَلاَتِهِ ـ قَالَ: «ما مَنَعَكَ يا غُلامُ أَنْ تَثْبُتَ في المَوْضِعِ الّذي أَوْقَفتُك فيهِ؟».

فَقُلْتُ: أَنْتَ رَسُولُ اللهِ ، ولا ينبغي لِأَحَدٍ أَنْ يُسَاوِيَكَ.

فقال صلّى الله عليه وسلَّمَ: «اللّهم فَقِّهْهُ في الدِّينِ ، وعلِّمْه التَّأْويلَ ـ أي التَّفْسِيرَ ـ».

وَمِثْلُهَا مَا أَخْرَجَهُ الطَّبرانيُّ بالسَّنَدِ المتَّصلِ إِلَىٰ عَبْدِ اللهِ بنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا ، قَالَ:

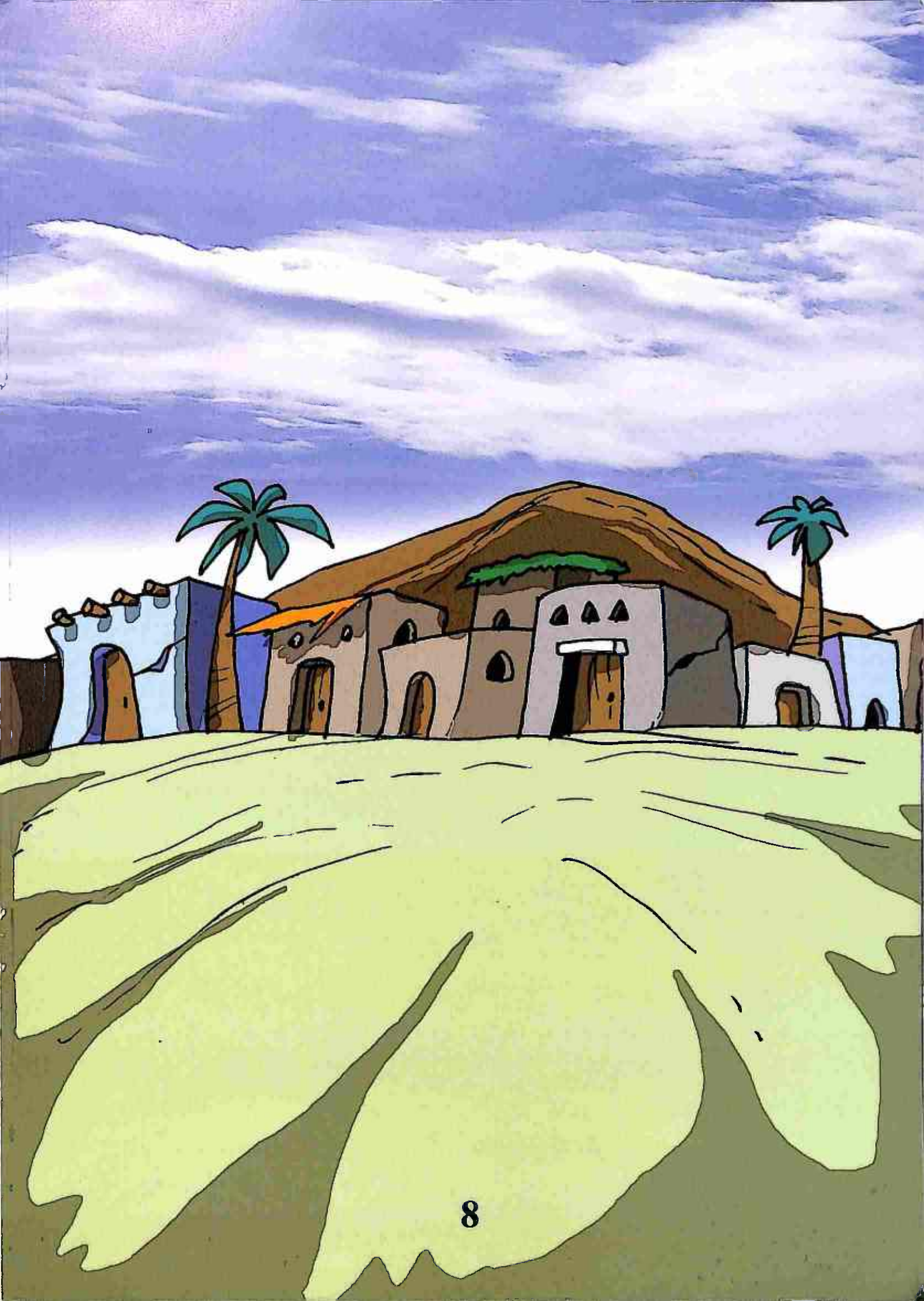

كَانَ قُدُومُنَا عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ الله عليهِ وسَلَّمَ لخمسٍ مِنَ الهِجْرَةِ ، خَرَجْنَا مُتوصلينَ مَعَ قُرَيْشٍ عَامَ الأَحْزَابِ ، وأَنَا مَعَ أَخِي الفَضْلِ (ت: ١٣هـ) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. وَمَعَنَا غُلامُنَا أَبو رَافِعٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

ولمّا انتهينا إِلَىٰ مَنْطِقَةٍ تُدْعَى العَرْج ضَلَّ لَنَا في الطَّريقِ رَكُوْبَةٌ... وَلَمَّا دَخَلْنَا المدينَةَ المنوَّرَةَ ، وَجَدْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ الله عليهِ وسَلَّمَ في الخَنْدَقِ ، وأَنَا يومئذٍ ابنُ ثَمَانِ سِنِيْنَ ، وأَخي ابنُ ثَلاثَ عَشْرَة سَنَةٍ!!

ومثْلُ تِلْكَ الحِكَاياتِ الرَّائِعَة والمفيدَةِ:

ما أَخْرَجَهُ الحَافِظُ ابنُ السنّي رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ ، قَالَ:

جَاءَ غلامٌ إِلى النَّبيِّ صَلَّىٰ الله عليهِ وسَلَّم ، فَقَالَ: إِنّي أُرِيْدُ الحَجَّ.

خَمَسَ مَعَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عليهِ وسَلَّم ، فَقَالَ:

«يا غُلاَمُ!! زوّدكَ اللهُ بالتَّقْوَىٰ ، ووَجّهكَ في الخَيْرِ ، وكَفَاكَ المُهمَّ».

فلما رَجَعَ الغُلاَمُ سَلَّم عَلَىٰ النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ ، وقَالَ: «يا غُلاَمُ!! قَبِلَ اللهُ حجَّكَ ، وغَفَرَ ذَنْبَكَ ، وأَخْلَفَ نَفَقَتَكَ».

ومِثْلُ تِلْكَ الحِكَايَاتِ المُفِيدَةِ ، والَّتي تَدُلَّ عَلَىٰ مَدَىٰ تَعَلُّقِ الأَطْفَالِ بالإِيْمَانِ ، هَذِهِ الحِكَايَةُ الّتي أَخْرَجَها الحَافِظُ ابنُ الجَوْزِيِّ رَحمَهُ اللهُ تَعَالىٰ: قَالَ سِنانُ بنُ مَسْلَمةَ ـ وكَانَ أَميرَاً عَلَى البَحْرينِ ـ:

كُنّا أُغَيْلِمَةً ـ أَيْ غِلْمَاناً صِغَارَاً ـ في أُصولِ النّخل نَلْتَقِطُ البَلَحَ الذّي يسمّونهُ الخِلالَ.

قالَ: فَخَرَجَ إِلَيْنَا عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، فتفرَّقَ الغِلْمانُ ، وثَبَتُّ مَكَاني. فلّما غَشِيَني ، قُلْتُ: يا أَمير المُؤْمنينَ !! إِنَّما هَذَا ما أَلْقَتِ الرِّيحُ.

قَالَ: أَرِني أَنْظُرْ فإِنَّهُ لا يَخْفَىٰ عَلَيَّ.

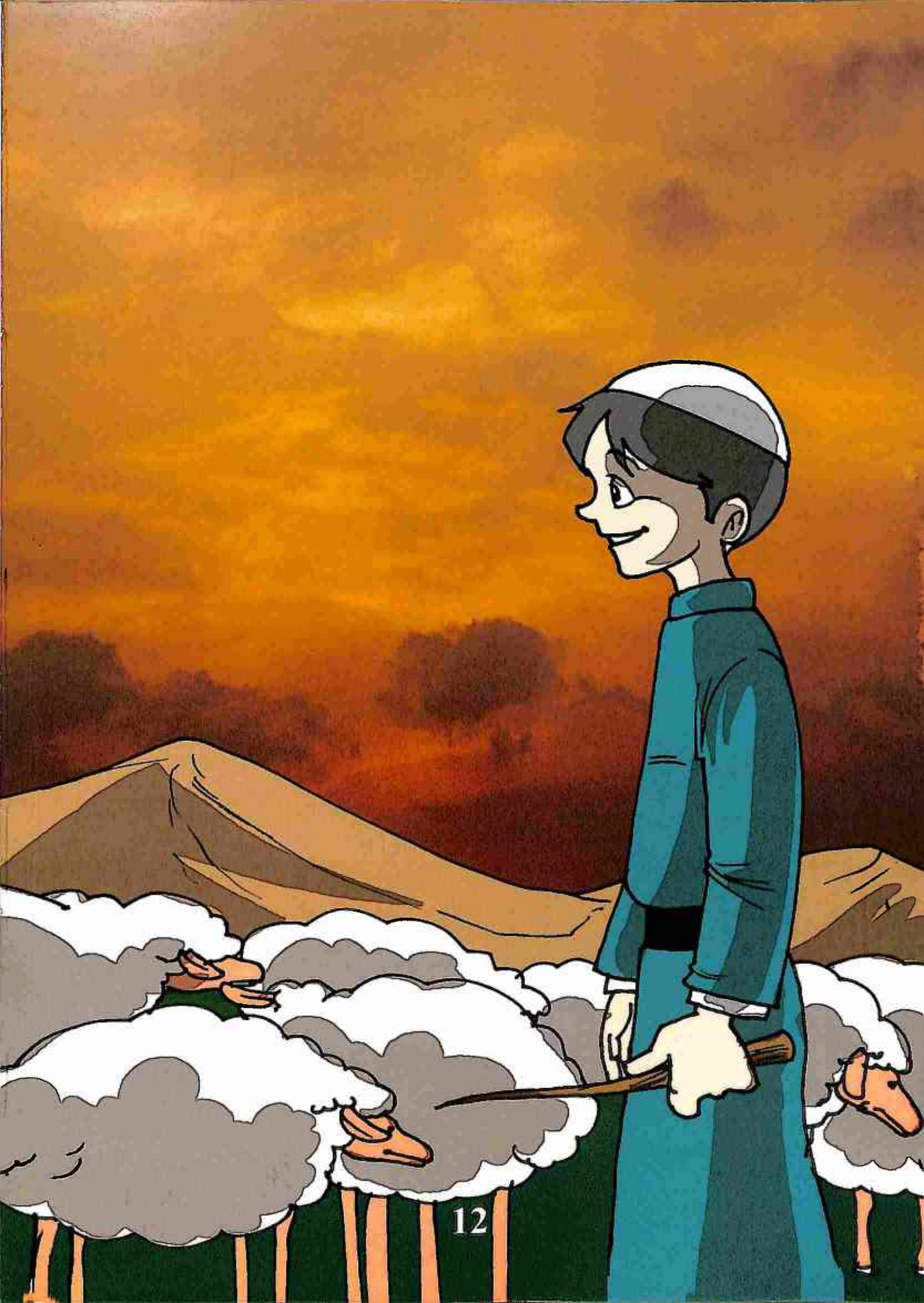

قَالَ سِنَانُ: فَنَظَرَ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حِجْري ، وقَال: صَدَقْتَ.

فقلْتُ: يا أَميرَ المؤْمنينَ! تَرَىٰ هَؤلاءِ الغِلْمَانَ ، واللهِ لَئِنْ انطلقتَ لأَغَارُوا عَلَيَّ فانتَزَعوا مَا في يَديَّ ، قال: فَمَشَىٰ مَعِي حَتَّىٰ بَلَّغني مَأْمَنِي.

ومِثْلُ تِلْكَ القِصَصِ الرَّائِعَةِ ، هَذِهِ القصَّةُ التّي جَرَتْ أَمَامَ عَبْدِ اللهِ بنِ عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ، وفِيْهَا الدَّليلُ الوَاضِحُ عَلَىٰ خَوْفِ الغُلاَمِ مِنَ اللهِ تَعَالىٰ ، واسْتِحْضَارِ عَظَمَتِهِ دَائِماً وأَبَداً.

والقصَّةُ مِنْ إِخْرَاجِ الإِمَامِ القُشَيّريِّ رَحِمَهُ اللهُ ، وغَيْرُهُ:

كَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنْهُما في سَفَرٍ ، فَرَأَى غُلاَماً صَغيْرَاً يَرْعَىٰ غَنَمَاً.

فَقَالَ عَبْدُ اللهِ لِلغُلامِ: تَبيعُ مِنْ هَذِهِ الغَنَمِ وَاحِدَةً؟

فَقَالَ الغُلامُ: ولَكِنَّ الغَنَمَ هذهِ ليسَتْ لِي.

فقالَ عَبْدُ اللهِ: قُلْ لصَاحِبِها إِنَّ الذِّئْبَ أَخَذَ مِنْها وَاحِدَةً.

فَقَالَ الغُلاَمُ: فَأَيْنَ اللهُ يَا هَذَا؟!

فَكَانَ عَبْدُ اللهِ بنُ عُمَرَ يَقُولُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَىٰ مُدّةٍ مَقَالَةَ ذَلِكَ العَبْدِ: فَأَيْنَ اللهُ؟!!

* أَنْتَ طفْلٌ لم تَبْلُغ الحُلُم بَعْدُ!! *

قَامَ أَبوَ يَزيد البَسْطَامّي رَحِمَهُ اللهُ يتهجَّدُ باللَّيلِ ، فَرَأىٰ طِفْلَهُ الصَّغيرَ يَقُومُ بِجِوارِهِ ، فَأَشْفَقَ عَلَيْهِ لِصِغَرِ سِنِّهِ مِنْ بَرْدِ اللَّيلِ ومشقَّةِ السَّهَرِ ، فَقَالَ لَهُ: أُرْقُدْ يا بنيَّ فَأَمَامكَ ليلٌ طويلٌ.

فَقالَ الوَلَدُ: فما بالُكَ أنتَ قد قُمْتَ؟

فَقَالَ الأَبُ: يا بُنَيَّ! قَد طَلَبَ اللهُ منّي أَنْ أَقومَ لَهُ.

فَقَال الوَلَدُ: لقد حفظْتُ فيما أَنْزَل اللهُ تَعَالىٰ:

﴿ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ﴾ [المزمل : ٢٠].

فَمَنْ هَؤلاءِ الّذينَ قَامُوا مَعَ نبيِّ الله؟

فَقالَ الأبُ: هُم يا بُنيَّ أَصْحَابُ رَسُولِ الله صَلَّىٰ الله عليهِ وسلَّمَ.

فقالَ الوَلَدُ: فَلا تَحْرِمْني مِنْ شَرَفِ صُحْبَتِكَ في طَاعَةِ الله.

قالَ الأَبُ ـ وقَدْ تملّكَتْهُ الدّهْشَةُ ـ: يا بُنيَّ! أَنْتَ طِفلٌ لَمْ تَبْلغِ الحُلُمَ بَعْدُ.

ح فَقالَ الوَلَدُ: يا أَبتِ!! لَقَدْ رأيْتُ أُمّي وهي تُوقدُ النَّارَ ، تَبْدَأُ بِصَغارِ قِطَعِ الخَشَبِ قَبْلَ كِبَارِهَا ، وأَخْشَىٰ أَنْ تَبْدَأَ الملائِكَةُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِنَا قَبْلَ الكِبَارِ إِنْ أَهْملنا وقصّرنَا في طَاعَتِهِ!!

عِنْدَ ذَلِكَ انتفضَ الأَبُ ، وقَالَ: سُبْحَانَ الله! قُم يا بُنيّ فأنْتَ أَوْلَى بالله مِنْ أَبيكَ.

* * *